قصة هذه المذكرات

كانت الصدفة وحدها هى التى جمعتني مع الصديق مصطفى صادق عم المرحومة ناريمان ملكة مصر السابقة فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ التى توفيت مؤخرا ...

كان يعمل كبيرا للطيارين فى مدرسة التدريب على الطيران فى الكويت..

وكنت أنا عائدا من رحلة قمت بها فى منطقة الخليج العربي عندما تخلفت لعدة أيام فى الكويت..

ودار حديث بيني وبين مصطفى صادق حول حياته إلى جانب ناريمان عندما كانت ملكة..

كنت أرف أنها ابنة أخيه المرحوم حسين صادق..

وفى بادئ الأمر.. تردد الرجل الصديق كثيرا فى أن يخوض معى فى الحديث عن حياتها مع فاروق..

ولكنى استطعت إقناعه بأن يتكلم..

قلت له.. إن ناريمان عاشت ملكة لمدة ١٨شهلا، وتفاصيل حياتها مع فاروق هى جزء من تاريخ بلادنا..

وأن ناريمان كانت زوجة لآخر رجل من عائلة الأرناؤوط.. أقصد عائلة محمد على.. التى حكمت مصر على مدى ١٥٠سنة.. وأن من حق شعب مصر أن يعرف تفاصيل الحياة الغريبة التى كان يحياها هذا الرجل وانتهت بإسقاطه عن عرشه..

وأن ناريمان هى واحدة من بنات شعبنا الطيب، وقد اخطفها فاروق من الرجل الذى تقدم لخطبتها، وجعل منها ملكة.. وقد

obeikandl.com

شهدت إلى جواره اللحظات التاريخية التى سجلت نهايته.. نهاية حكم عائلة الأرناؤوط مع ثورة الجيش والشعب فى ٢٣يوليو سنة١٩٥٢..

وقلت له.. إن تفاصيل حياة ناريمان مع فاروق لا يمكن أن تكون ملكا لها وحدها.. ولكنها ملك لشعب مصر كله.. وأن من حق كل مواطن أن يعرف شيئا عن حياتها معه لأنها جزء من تاريخ مصر..

المهم.. استطعت إقناع الصديق مصطفى صادق بأن يتكلم.. وأن يملي عليّ مذكراته التى نشرت جانبا منها فى مجلة آخر ساعة فى تلك الأيام.. أى منذ أكثر من ٥٠سنة.

ولا أريد أن أقول.. أنني اضطررت للبقاء فى الكويت عدة أسابيع حتى فرغ الرجل من إملاء مذكراته عليّ..

كنت أذهب إلى بيته ناحية الصليبيخات فى ضواحي مدينة الكويت كل يوم وكنت أمضى معه عدة ساعات فى مراجعة الوقائع، وفى كتابة حلقات مذكراته.

وأثار الصديق مصطفى صادق إعجابي، فقد كانت ذاكرته قوية.. وكان دقيقا فى سرد الوقائع إيمانا منه معى بأنها أمانة تاريخية، وتسجيل لصورة الحياة فى قصر الملك الأرناؤوطى الذى طردته مصر، وكانت نهاية عهده مع ثورة الجيش والشعب فى ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢..

* * *

وأذكر أننى ذهب إلى بيروت بعد أن حصلت على مذكرات الصديق مصطفى صادق حيث قابلت ناريمان عدة مرات..

وكانت فى تلك الأيام قد طلقت من فاروق، ثم ذهبت إلى بيروت لتعيش فى شقة صغيرة تطل على البحر فى المنطقة التى تمتد بجوار صخرة الروشة..

وكانت ناريمان تجتاز فى تلك الأيام أزمة مالية حادة بحيث اضطرت كما سمعت من بعض أصدقائهما أن تبيع بعض مجوهراتها التى أهداها إليها فاروق عندما اختطفها من عريسها ليجعل منها ملكة..

ولن أنسى فى حياتى أول مرة التقيت فيها مع ناريمان..

لقد ذهبت إلى شقتها بعد أن اتصلت بها تليفونيا، وتحدد موعد الزيارة..

وأذكر أن السيدة أصيلة هانم والدة ناريمان قد استقبلتني عند بابا الشقة ثم أدخلتني إلى حجرة الصالون، وطلبت إلى أن أنتظر حتى تخطر ناريمان بقدومى..

ومرت ربع ساعة.. وبعدها فتح الباب لأسم أصيلة هانم، وهى تصيح بصوت مرتفع:

- صاحبة الجلالة ناريمان..

وبعدها دخلت ناريمان.. صاحبة الجلالة سابقا، إلى حجرة الصالون لتصافحني بأطراف أصابعها، ولتجلس على مقعد فى منتصف الحجرة.. بينما جلست أصيلة هانم على مقعد قريب من الباب، وهى تضم يديها فى أدب جم على طريقة وصيفات القصر الملكى أيام زمان..

ولم يكن فى وسعى إلا أن أبتسم، فقد كانت ناريمان فى تلك الأيام، وبعد طلاقها من فاروق لا تزال تعيش فى الدوامة التى شدها فاروق إليها عندما جعل منها ملكة..

وبمعنى آخر.. لقد تصورت فى تلك الأيام أنها لا تزال ملكة..

ولم تكن تريد أن تصدق أنها كانت ملكة..

وأن عليها أن تضم نفسها إلى طابور صاحبات الجلالة السابقات..

ولكم آلمني كثيرا، وقد عرفت ناريمان عن قرب أن أتبين بنفسي كيف أن السيدة أصيلة كانت تشجعها كثيرا فى تلك الأيام على أن تظل تعيش فى هذا الحلم، وأنها لم تعمل على إيقاظها منه فى الوقت المناسب.

* * *

وأذكر فى لك الأيام.. أننى قلت شيئا بهذا المعنى لناريمان أثناء إحدى زياراتي لها عندما كانت فى بيروت..

قلت لها: إن عمك مصطفى صادق يتفق معى فى هذا الرأى..

وبكت يومها ناريمان وهى تقول لى:

- أنا غلبانه.. وقد ظلمنى القدر!!

وأدركت حقيقة الانفعالات التى كانت تضطرم فى نفسها..

كانت تعرف.. أنها لم تعد صاحبة جلالة.. وأن عليها أن تنسى قصة حياته إلى جوار فاروق حتى تعيش..

وفى رأيى إنها لم توافق فى تلك الأيام على أن تعيش فى المسرحية التى فرضه عليها، إلا لكى تنسى!

أما أصيلة هانم، فقد ثارت فى وجهي، وأخذت تهم مصطفى صادق شقيق زوجها بأنه يكرهها! وإنه السبب فى كل ما حدث لناريمان!

obeikandl.com

ولا أريد أن أقول.. إنها بدأت تعاملنى بجفاء لأننى صارحت ناريمان بالحقيقة..

وأنها كانت فى كل مرة أذهب فيها إلى شقة ناريمان تقول لى:

- صاحبة الجلالة لا تريد أن تستقبل أحدا..

وكان هدفها- كما فهمت- هو منعى من الاتصال بناريمان حتى لا أعمل على لإيقاظها من الحلم الذى حرصت أصيلة هانم على أن تعيش فيه أبنتها!

* * *

المهم.. نشرت مذكرات الصديق مصطفى صادق فى تلك الأيام.. كانت دقيقة وصادقة..

وكانت تنقل لقصة لكاملة لحياة ناريمان مع فاروق باعتبارها وثيقة تاريخية..

ولم يعترض الصديق مصطفى صادق على أية وقعة نشرت بها..

كما أن ناريمان نفسها، لم تجد فيها ما يحتاج إلى تصحيح أو تكذيب..

وأذكر أننى تلقيت مع نشر حلقات هذه المذكرات بعض التعليقات بعث بها إلى من واحد من الذين جاء ذكرهم فيها..

ولفت نظرى أن هذه التعليقات لم تتعرض للوقائع التى جاءت فى المذكرات وإن كانت قد أضافت بعض التفصيل التى لم تستوعبها ذاكرة الصديق مصطفى صادق وقد قمت بنشر هذه التعليقات تدعيما لما جاء فى هذه المذكرات..

هذا، وقد انتظرت ٢٠سنة كاملة بعد أن نشرت هذه المذكرات على أوسع نطاق دون أن أتلقى اعتراضا واحدا على تفاصيل ما جاء فيها.. ثم قررت تجميع هذه المذكرات كوثيقة تاريخية تروى القصة الكاملة لحياة ناريمان مع فاروق آخر رجل فى عائلة الأرناؤوط التى حكمت مصر قبل ثورة الجيش والشعب فى٢٣يوليو سنة١٩٥٢..

ويهمنى أن أسجل هنا:

أن ناريمان سيدة مصرية أصيلة، من عائلة نبعت من هذا الشعب..

وأنا أعرف- كما قالت لى مرة فى بيروت.. إنهم قد ظلموها كثيرا عندما أجبروها على الزواج من فاروق..

ولكنها كانت فتاة ساذجة.. وكانت صغيرة السن، وقد فرحت كثير عندما قالوا لها أنها ستصبح ملكة..

ويكفى أن أقول.. إن والدها المرحوم حسين صادق كان يفكر فى الهرب معها من مصر عندما بعث إليه فاروق يطلب إليه الموافقة على زواجه من ابنته!

كانت وحيدته.. وكان يريد أن ينقذها من برائن فاروق..

ولا يسعني وأنا أسجل تقديري واحترامي لناريمان.. إلا أن أؤكد أننى ما كنت أقدم على بجميع هذه المذكرات التى سبق أن نشرت جانبا منها فى مجلتي آخر ساعة، وأكتوبر، إلا إيمانا منى بأن قصة حياتها مع فاروق لا يمكن إلا أن تكون جزءا من تاريخ بلادنا..

فهى تسجل اللحظات التاريخية التى انتهت بطرد فاروق..

obeikandl.com

وتنقل صورة الحياة العجيبة التى كان هذا الرجل يحياها وهو يحكم بلادنا قبل أن يتحرك الجيش والشعب لطرده من العرش..

ولأنها وثيقة تاريخية.. فهى ملك لكل الشعب..

جميل عارف

obeikandl.com